عويل الدم

[مهداة الى الأستاذ الزيات]

من وحي مقالة : « على هامش الموضوع »

بقلم جورج وغريس

« في يوم مشئوم ، في بلد مجهول ، جرى دم الشهداء على أديم الغبراء ، وظل سحابة يومه شاهد الأرض للسماء ؟ وفي الصباح الباكر مر عابر السبيل ، فألفى الدماء قد استحالت إلى كلمات ، فأخذ يلتقطها يد مرتجفة ويلقيها في سلال حمراء وسوداء ... وهاؤم اقرأوا تلك الكلمات .. .. »

* * *

لقد قالوا للسان اصمت فتكلمنا

نحن القطرات المتساقطة من عيون الفناء ، وحيث سقطنا ستظل الحقيقة قائمة الى الأبد

إنما يعيش الانسان بالدم الذي يجري في عروقه ، فان مات شهيدا عاش الناس بما يلقيه من الدم في عروقهم

لقد كذبت معاجم اللغة في كلمتين : « قعقعة السلاح » وصوابها « قعقعة الدم »

ليس معنى الموت الموت دائماً ، فقد يكون معناه الحياة أحياناً

أليس غريباً أن نهتف للحق مرتين : مرة في حنايا القلب ، ومرة من ثنايا الأرض ؟

لو أننا عدنا إلى حيث أتينا ثم خُيرنا في مصيرنا ما اخترنا غير هذا المصير

لقد فهمنا حاجة الأرض فأطفأنا ما بها من ظمأ . . . .

أيها الثرى الجائع .... لقد أتخمك الشبع !

لقد قالوا لنا عيشوا في معاقلكم فانطلقنا منها أحرارا

لما أحجم القوم تقدمنا ، وحين أطفأ الناس أنوارهم أتينا لهم بالمشاعل

نحن مادة الحياة أينما حللنا ... ... عشنا في القلوب فخفقت ، ولمسنا الأرض فنبضت . .

ليت الانسان يفهم أن للحياة معنى غير الذي دارت عليه أيام الأنعام ، والحياة بغير هذا المعنى لا معنى لها

انصتوا أيها الباكون حولنا واستمعوا ، فان قيثارتنا ترسل أنغامها السحرية

ان تفجرنا من القلوب أو جمدنا في العروق فنهايتنا واحدة : الأرض مثوانا وهي الأم الرءوم

أليست تلك أرض الوطن ... ؟ لقد خالطنا حبها فاختلطنا برغامها وتوغلنا في أعماقها وأضفنا الى تربتها عنصراً جديداً لن يزول إلى الأبد ... ... أليس في كيمياتها « المادة لا تفنى ؟ ... »

للمظالم البشرية سهام مسمومة وللنفس الشريفة دم كريم ... ... إن أصاب ذلك الدم سهم من تلك السهام أبت كرامته أن يعيش إلى جواره فيفلت من مكانه ناقماً عليه ثائراً على عداوته

جبلت نفس الظالم من صخر لا قلب له ولا دم . فهو ينتقم لتلك الطبيعة الناقصة . فان صادف قلبا أرهقه ، وإن لاق دما أهرقه .

لا تقوم في نفس ابن آدم نزعة إلى الشر إلا ويكون مبعثها شيطان فيه . ولا يجيء منه الخير إلا يكون مصدره الانسانية في الانسان . ونحن — وا أسفاه — نتيجة صراع بين النزعتين في نفسين مختلفتين

تضافرت الفضائل فغلبتها التضحية ، وتنافرت الرذائل فجمعتها الأنانية

ياعابر السبيل .. اخلع نعليك ، فان الأرض التي تطؤها مقدسة !

يا عابر السبيل ... نحن غرباء مثلك ، مطاردون مثلك ، وقد أحاطتنا الحياة بهوانها حتى زجرتنا عن محيطها ، وقذفت بنا الى الأرض قطرة حارة وزفرة متأججة تحرق الأديم وتلفح

الوجوه . فان بلغتك أنفاسنا المحترقة نخذ من حرارتها قوة لأنشودتك ، ومن فيض آلامها املأ أنغامك سحرا وجلالا وروعة ... ...

يا عابر السبيل ... ... لا تخش أن يكون سبيلك سبيلنا وطريقك طريقنا ... فانما السبيل للمجد وعر والطريق اليه شائك ، فلا تكتئب أو تحزن فمن وخزات ألمك تعيش الكرامة ، ومن زفرات بكائك يشتق الخلود آيته ...

نحن الورود الحمراء التي سقتها الدموع وأنبتتها الأهوال . ستعيش جذورنا في أعماق الصخرة وتصمد أعوادنا المخضلة في وجه العاصفة ، وتتفتح أكمامنا للأجيال فتملأ النسمات بأريج عاطر ينعش الأنف ويغذي القلب ويثير الفؤاد

لنا في أذن الأجيال همسات ، أسمعوها يا هؤلاء لأولادكم وأحفادكم إن كان لكم ولهم آذان . واكتبوها على شغاف قلوبكم وقلوبهم بحروف من عصارة تلك القلوب . فان كانت دما نقيا رفعكم ورفعهم ، وإن كانت دما مارقا خذلكم وخذلهم

(اسكندرية) جورج وغريس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ

احمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديدا — الثمن ٢٠ قرشاً ما عدا أجرة البريد

أحلام وذكريات

للآنسة فردوس مصطفى

من مشكاة الطفولة اللاهية الغافلة كان قلبي الخلي يطل على قوافل الحياة فيراها ويحس بها غير ما يراها ويحس بها الآن ، وكان احساسه بها حينذاك احساسا قوى الفطرة جامح النفلة يبهره من قافلة الحياة تناسقها ومظاهرها غير مدرك سرها وجوهرها . وكان يرقبها طوال الأعوام الثلاثة عشر ، حتى إذا ما تحول إحساسه بها الى بعض ادراكه لها نشأ عن هذا الادراك الحسي شعور جديد دفع به إلى السير مع القافلة ، فاندمج فيها ولم يعد يراها ، ولكنه بدأ يعرف سرها ويدرك مداها . وعندما أذكر أحلام الأعوام الثلاثة عشر ، وقد كانت كلها أحلاما ، أشعر بالماضي يجذبني نحوه وبالحنين يعاودني اليه ؛ فأحلام الصغار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بسبائك من الذهب ، ولأحلام الكبار وأمانيهم أسباب تصل ما بينهم وبين الحياة بحبائل من النصب ، وياشد ما يهفو القلب الى القفزات المرحة في رحبة المدرسة ، والى تلك الدمى المتراصة في الدار من مختلف اللعب ، والى فساتين الأعياد الزاهية الألوان ؛ كل ذلك له أثر في القلب ، لأنه بدء علوقه وأول صبابته . فلما شب عن طوقه وبارح مشكاته أصبحت له صبابات غير تلك الصبابات ، وأماني وأحلام غير تلك الأماني والأحلام ، بذل فيها من دمه ونعيمه الشيء الكثير ، فثار على الحياة يثأر لدمه الغالي ونعيمه الذاهب ؛ وللقلب حين يثور فلسفة يختار في غاياتها العقل ؛ وللقلب حين يثور أفانين يقصر عن إدراكها الفكر ، ولكنها فلسفات وأفانين هي أقرب الى السماء منها الى الأرض ؛ تمدجه في الروح الخالص فلا يشعر بما على الأرض من مادة طاغية ، ولا يحس من بهرج الحياة وظاهرها بسعادة خاوية . فهناؤه فوق المادة ، ونعيمه موصول بالسماء ، وبين الفينة والفينة يعاوده الحنين الى ذكريات الطفولة وأحلامها ، والى المشكاة وأيامها ، فيخيل اليه أنه يستطيع أن يطل على الحياة كما كان يطل ، وأن يرقب القافلة كما كان يرقب ، ولكن هيهات !

فردوس مصطفى